الباكستان [1]

وعلاقتها بالعالم العربي والاسلامي

للدكتور حسين الهمداني

شاهد العالم خلال الأحقاب الطويلة البعيدة عدة حضارات ازدهرت في كثير من أرجاء العالم منها الحضارة التي قامت حول البحر الأبيض المتوسط . وقد قسم المؤرخون هذه الحضارات إلى قسمين : قسم يشمل بلاد الشرق من هذا البحر ، وقسم يشمل بلاد الغرب منه . والحضارة التي تعنينا اليوم هي حضارة هذا القسم الشرقي الذي يمتد من شمال أفريقيا شرقا حتى يقف عند نهاية الباكستان . وقد ظلت حضارة الجناح الأيمن هذا تشع على العالم أجمع نوراً من العلم والمعرفة والثقافة ، كان يسري بين خيوطه إشعاعات علم الأقدمين كاليونان والرومان .

وكانت هذه الحضارة متفقة مع الحضارة الغربية في كثير من الأسس ، فقد كانت الحضارتان قائمتين على أساس دينيين عظيمين كما كانتا تأخذان من تلك الحضارات القديمة كثيراً من مقوماتها ، وهكذا اتحدت الحضارتان في الأسس والدعائم .

وقد كانت الباكستان ، ولو أنها كانت جزءا من الهند ، على وثيق بالشرق الأوسط ، وكانت ، تأخذ من حضارة الجناح الأيمن الشرقي ، لأنها كانت تدين بدينه وتتصل بآرائه وتأخذ من ثمرات مجهودات مفكريه الذين اقتبسوا كثيرا من حضارة ذعن اليونان والرومان والفرس ، وكانت شديدة الصلة بالكلدانيين الذين استوطنوا العراق قبل ٧ آلاف سنة ، كما اتصلت بالبابليين وكما وربطت بينها وبين دولة الفرس روابط تجارية ثقافية .

ولدخول الإسلام في الهند قصة ... إذ قام العرب بعد موت النبي صلوات الله عليه بخمس وعشرين سنة بغزو إيران وسوريا وأرمينيا وقسم من وسط آسيا ومصر . وسار المسلمون في فتوحاتهم نحو الشرق صوب حيوات وكابول وبلخ ، حتى بلغوا نهر الأندس والسند ؛ وهنا تمكنت العلائق بين العرب وأهل السند وهم الذين يكونون اليوم غرب الباكستان ، وبقيت متينة خصوصاً مع الحكام الهنود في الجنوب مما نتج عنه توطن الشاطئ الغربي بواسطة كثير منهم ، حيث بنوا المساجد ... ...

ومع أن مسلمي الهند كانوا يعيشون مع غير المسلمين هناك عيشة قريبة ممتازجة يفرضها الوضع الجغرافي إلا أنهم كانوا شديدي البعد عنهم فيما يتصل بعباداتهم وتقاليدهم وثقافتهم ورغباتهم . وعلى رغم هذا الوضع الذي كان يقرب بينهم كان المسلمون يتجهون بكل نفوسهم إلى العرب ومسلمي الشرق الأوسط وكانوا يتخذون اللغة العربية لغة للعلم والدرس يؤلفون بها ويؤسسون لها المدارس والمعاهد والجامعات في جميع بلدان شبه القارة .

ولم تقتصر هذه الرابطة على تبادل التجارة أو بعض الأفكار الثقافية بل امتدت الرابطة إلى ما هو أبعد من هذا ، امتدت إلى أن خضع المسلمون هناك لطاعة الخليفة ، كما دانوا له بالولاء . وفي فتح البلدان يقول البلاذري : إن حكام السند العرب كانوا يلقون خطبة الجمعة متوجة باسم الخليفة ، كما ضربوا العملة باسمه : وظل الحال على هذا من هذه الفترة إلى أن تقوضت الخلافة الإسلامية بتركيا .

وظلت العلاقات قائمة بين المسلمين هناك وبين الشرق الأوسط إلى عصرنا الحديث ... ... ولم يكن المسلمون ليتوانوا لحظة في خلال كل هذه السنين عن الشعور بنفس الشعور الذي يساور أهل الشرق فقد كانوا يفرحون لفرحه ، ويتألمون لألمه . وكانوا يعتقدون أن هذا الشرق ما هو إلا جسم واحد إذا اشتكى منه عضو تألم له بقية الأعضاء ، وإذا أصاب طرفا منه ضر أو شر فإنه سرعان ما يصيب كل البلاد قاصيها ودانيها .

ولم يكن مسلمو الهند في جهادهم بمنأى عن هذا الشرق ، لأنهم كانوا على اتصال وثيق به ، يربطهم به رابطة الدين ورابطة الألم ورابطة الظلم الذي يحل به ، ورابطة القسوة التي يجابههم بها الأقوياء ، ورابطة الخطر مما يبيت المسلمين قاطبة من كيد ومن غدر ، فقاموا من ساعتهم ، في الحدود التي حاولوا فيها أن يصلوا إلى أقصى ما يستطيعون رغم الاستعمار الأجنبي ، يريدون الوقوف إلى جانب إخوانهم المسلمين في كثير من المطاف وفي كثير من المحزن ؛ فهم حزنوا لتفكك الخلافة ولانهيار الإمبراطورية العثمانية ، لأنها كانت تمثل في نظرهم قلعة الإسلام . وقاموا يحتجون لدى انجلترا على المعاملة التعسفية التي عاملوا بها مصر عام ١٩٢٤ حينما قتل السردار لي ستاك باشا ، واحتجوا لديها كذلك ولدى عصبة

(١) الكلمة التي ألقيت يوم ١٦ أكتوبر بنادي خريجي الجامعات هي المقدمة